الفلسطيني ، لدرجة ان ظاهرة غريبة أصبحت ملازمة لمسيرة هذا العمل : في المراحل التي تكون فيها كافة المؤشرات ضاغطة في اتجاه الوحدة الوطنية تكون هذه الوحدة اشد تعثرا وتحجرا واصعب منالا . هذه الظاهرة العجيبة لا بد من تعميق التمعن والدراسة فيها على أساس مختلف المعطيات الاجتماعية والحضارية وغيرها . ٢) غياب التصور العلمي الشامل والمؤسس على التخطيط في مقاربة العديد من معضلات العمل الثوري الفلسطيني ، الامر الذي يعكس نفسه بوضوح على الناحية المالية وعلى قضية الجباية بشكل خاص . ٣) بوجود حالة التشتت وغياب التصور العلمي الشامل تفجرت في العمل الفلسطيني الحدود المعقولة للتنافس وللخلاف بين المنظمات واختل ميـــزان الاولويات بشكل خطير ، وقد عانت من جراء ذلك القضايا الاساسية للعمل الفلسطيني أمر المعاناة، ومن ضمنها القضية المالية ، لقد أمست محاولة اعادة ترتيب الاولويات في أطار الاوضاع القائمة أمرا على درجة عالية من الصعوبة والتعقيد .

لنا في التجربة اليهودية في الجباية مثال مليء بعناصر القوة والنجاح . وقبل أن نشير الى بعض هذه العناصر تجدر ملاحظتان : ان تجربة العدو في الجباية المالية هي بالفعل من اهم انجازاته ولا نتمثل بها هنا على اي اساس آخر غير الاستفادة العلمية من ناحية التخطيط واسلوب العمل المرن والمتحرك والقادر ، وانه ليس لعدونا فقط في هذا المجال تجربة ناجحة بل في تاريخ عملنا الفلسطيني تجربة في الجباية لا تقل احكاما في التنظيم ولا قدرة على التنفيذ ، الا وهي تجربة « بيت المال العـــربي » التي سنتناولها في صلب التحليل .

ما هي أهم العناصر الكامنة وراء نجاح الجباية اليهودية وانجازاتها الهائلة ؟

أ ـــ التنظيم : النظرة الدقيقة على الهيكل التنظيمي لاجهزة الجباية اليهودية تبين لنـــا تداخلا وتعددا لا مثيل له . غير ان هذا التعدد والتداخل كان ولا يزال مضبوطا عبر تنظيم قوي اسس على نظرية الربط الدائم بين كافة نشاطات اجهزة الجباية والهدف الرئيسي الذي يحركها . ومنذ البدء ، أي منذ تأسيس الصندوق القومي اليهودي في العام ١٩١٠ وحتى قبل ذلك حين تأسيس الصندوق الرئيسي في انجلترا في العام ١٩٠١ بقرار من المؤتمر الصهيوني الخامس ، منذ ذلك التاريخ المبكر كان التنظيم تعبيرا عن اهداف واضحة محددة . ولعل اعلان تأسيس الصندوق التأسيسي لفلسطـــين المعروف باسم Keren Haysod في العام ١٩٢١ من اكثر الامثلة وضوحا ، حيث احتوى الاعلان هدفا واضحا هو العمل بكل ما باستطاعة هذا الجهاز لتطبيق وعد بلفور ، أي اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . لا نريد ان ندخل في تعداد كافة الاجهزة التي اشرفت عليها المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ولا في كيفية عملها ، وانما نكتفي بالتأكيد على ان التنظيم الصلب والدقيق كان عنصرا رئيسيا وراء الانجازات الهائلة التي حققتها .

ب ـــ الرقابة : الرقابة المركزية من قبل أعلى السلطات في المنظمة الصهيونية العالمية وفي الوكالة اليهودية كانت ولا تزال السلاح الفعال الثاني الذي أعطى الجباية قدرتها على الوصول الى المردود المرتفع .

ج ـــ النوعية البشرية للجهاز : من خلال التقارير ومن خلال دراسة المؤتمرات العديدة على مختلف المستويات يلمس الباحث التركيز الواضح من قبل المنظمة الصهيونية العالمية على انتقاء ابرز شخصياتها وخاصة في السنوات الاولى من عمل اجهزة الجباية ، للتفرغ من أجل هذه القضية . ولعل السر الحقيقي وراء تذليل كافة العقبات والصعاب أمام انطلاق عمل الجباية كمن في النوعية البشرية التي تصدت له ، بكل خبراتها واتصالاتها وقوة تأثيرها .

د ـــ النظرة الاقتصادية العلمية في موضوع الجباية : لا شك ان النظـــرة الاقتصادية